

ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

(معتمد ومصنف دوليًا)

الرقم الدولي المعياري للمؤتمر



## المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

### الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية



## اللغة العربية في الجامعة التونسية بعيد الاستقلال

الشاذلي الهيشري

كُلّية الآداب والفنون والإنسانيات

جامعة منوبة

### التقديم

ندرس في هذا المقال السمات العامة لتدريس اللغة العربية لطلبة الاختصاص بالجامعة التونسية، بعيد الاستقلال الذي تمّ سنة 1956، عقب نضال مستمر ضدّ المستعمر الفرنسي، امتدّ نحو 75 سنة (من سنة 1881 إلى سنة 1956).

وقد قامت أعباء مهمة التدريس على كاهل ثلّة نيرة من الأساتذة الجامعيين، تضافرت جهودهم منذ أوائل الاستقلال لتطوير تدريس اللغة العربية. وقد أثمرت كمّا هائلاً من كتب اللغة التطبيقية، نذكر منها، على سبيل المثال:

كتاب " النحو العربي من خلال النصوص، لعبد القدر المهيري وجماعة من المؤلفين، الشركة القومية للتوزيع، 1962"، وكتاب "الصرف العربي من خلال النصوص، للمؤلفين أنفسهم، وبالشركة القومية للتوزيع كذلك، وقد طُبِع سنة 1966"

والكتابان موضوعان لخدمة تلامذة السنوات الأولى والثانية والثالثة والرابعة من التعليم الثانوي خلال السنوات الستين من القرن الماضي.

ولئن لم تشهد الجامعة التونسية كُتبا مخصّصة لتدريس العربية، على غرار ما هو موجود في مرحلتي التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي، بحكم متطلّبات البحث وتجده، وسبره آفاقا أرحب، فإنّها ظلّت المورد الأساسي التي تستقي منه المرحلتان المذكورتان في تأليف كتب اللغة ونشرها، وذلك بفضل البحوث الجادة التي يقوم بها أساتذة الجامعة والوثائق العلمية التي يقدمونها للطلبة، ويعتبرونها من ضرورات العمل الجامعي.

ولا نروم في هذا البحث الغوص في عمق التأثير العلمي للبحث الجامعي في مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي، فذاك مجال أوسع ممّا نحن فيه، وإنّما غايتنا ضبط خصائص تدريس العربية لطلبة الاختصاص بالجامعة التونسية بعيد الاستقلال، وهي خصائص مميزة، تُؤمّن بين أصالة القديم وطرافة الحديث، وقد جعلت من الجامعة التونسية إحدى منارات العلم في الوطن العربي.

فما هي هذه الخصائص؟ وما هي مظاهرها في تدريس العربية؟ وما هي تجلياتها في القديم والحديث من الدراسات؟ وكيف يتحوّل القسم النظري منها إلى مجال التطبيق؟ وما هي الأهداف التي وُضعت للتدريس؟

تلك أهم القضايا التي سنعالجها في هذا المقال، موضحين ركائز تدريس العربية بالجامعة التونسية بدايةً من الاستقلال وقبل الشروع في تطبيق نظام "إمد LMD" الذي يُعتبر مرحلة جديدة في التدريس، طبعت التعليم منذ 1987، وهو في حقيقة الأمر نقلٌ لتجربة أوروبية في التعليم العالي وتطبيقها في تونس، وقد اقتضت هذه التجربة أن تدوم الدراسة الجامعية ثلاث سنوات للظفر بالليسانس، وستين اثنتين للحصول على درجة الماجستير، وثلاث سنوات للنجاح في شهادة الدكتوراه الموحدة، فيكون مجموع الدراسة الجامعية ثماني سنوات فقط. وكان من نتائج هذه التجربة أن كثر عددُ الحاصلين على شهادات عليا في التعليم العالي، ومطالباتهم بأن تفتح سوق الشغل أبوابها أمامهم. وكان نظام التدريس قبل ذلك موزعا على الأستاذية وتدوم أربع سنوات ثم شهادة الكفاءة في البحث، ثم شهادة التبريز التي تخول للطلاب إعداد شهادة الدكتوراه، دون تحديد سقف معين لمناقشتها.

وبإجراء مقارنة سريعة بين النظامين يتبين لنا أنّ النظام القديم، بُعيد الاستقلال، قد راعى متانة التكوين، وكفاءة الإعداد لتحمل مسؤولية الإشراف على تدريس العربية في المعاهد الثانوية، والتعلق بالتدريس الجامعي مستقبلا، بينما أصرّ النظام الجديد (إمد LMD) على سرعة التكوين، دون أن يضمن الكفاءة العلمية اللازمة، بالإضافة إلى كونه وليد تجربة أوروبية لها تداعياتها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وهي أبعد ما تكون عن الظروف الوطنية في تونس.

### إصلاح التعليم في تونس

ما إن حصلت البلاد التونسية على استقلالها سنة 1956 حتى سنّت أول قانون لإصلاح التعليم، وعرف التعليم العالي، على مدى نصف قرن تقريبا، تزايدا في عدد المؤسسات الجامعية، وتنوعا في اختصاصات التكوين، وتطورا في عدد المتخرجين بشهادات عليا في شتى فنون المعرفة، وتبوأت اللغة العربية وأدائها منزلة أثيرة في منظومة التعليم العالي بالبلاد التونسية، وهي منزلة ناجمة أساسا عن الوعي بالدور المركزي الذي تنهض به اللغة العربية في التمسك بالتراث من ناحية، ومواكبة العصر في تطوره الحضاري والعلمي من ناحية أخرى. وقد نصّ دستور البلاد آنذاك، في بنده الأول على أن تونس بلد دينه الإسلام ولغته العربية ونظامه الجمهوريّة (دستور 1 جوان 1959)

### الأساتذة المؤسسون من نوي اللسان المزدوج

وتولّى قسم اللغة العربيّة بكلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة، كبرى مؤسّسات التعليم العالي بالجامعة التونسيّة الفنيّة، تدريس اللغة العربيّة وآدابها وتخرّيج مختصّين في تعليمها بدرجة الليسانس (الإجازة)، وقد سُمّيت، فيما بعد، بالإستاذيّة.

وقد أدار قسم العربيّة، في بدايته، نخبةً من الأساتذة التونسيّين، نذكر منهم الأخوين أحمد ومحمّد عبد السلام، ومحمّد الطالبي، ومحمد السويسي، والشاذلي بويحيى، وعبد القادر المهيري، ومحمّد اليعلاوي، ومنجي الشملي، وحمّادي بن حلّيمة، وتوفيق بكار، وصالح القرمادي، وهم من ذوي اللسان المزدوج، والثقافة المزدوجة، تخرّجوا من الجامعات الفرنسيّة خاصّة على كبار المستشرقين أمثال ريجيس بلاشار Régis Blachère، وشارل بلا Charle Pellat، وهنري فلاش Henri Fleish، وجون كنتينو Jean Cantineau .

وازواج الثقافة، العربيّة والفرنسيّة، أتاح للأساتذة التونسيّين المقارنة الجريئة بين العربيّة واللغات الهنديّة الأوروبيّة، والوقوف على إيجابيّات لغتنا وسلبيّاتها، فعملوا على تدعيم الخاصيّة الأولى وتعديل الخاصيّة الثانية، إيماناً منهم بأنّ الطائر ذا الجناح الواحد لا يُمكنه الطيران بعيداً، في حين أن الاعتماد على الجناحين معاً يُتيح لمن يمتلكهما التحليقَ عالياً، والوصول إلى الآفاق النائيّة.

### خصائص تدريس العربيّة لدى الأساتذة المؤسّسين

كان الهمّ الأكبر لدى الأساتذة المؤسّسين توظيف البحث العلمي في خدمة التدريس، فقد تُكون للبحث العلمي قيمةً كبرى في حدّ ذاته، يغنم منها الباحث الجامعي غنماً واسعاً، فتتسع دائرة تفكيره، وتنمو آفاق معرفته، ويبلغ إشعاعه الأوساط العلميّة خارج حدود الوطن، غير أنّ قيمة أعماله تظلّ محدودةً إذا لم تُوظف للتدريس وتذليل صعوباته، وذلك هو المعيار الحقيقي لكفاءة الباحث وخدمة الصناعة البيداغوجيّة، كما يترأى له.

وبالإضافة إلى ذلك تشبّع الأساتذة الجامعيّون من التراث اللغوي وارتووا من مناهله الثرّة، وحرصوا على القطع مع الأساليب القديمة الجارية في تعليم العربيّة على التلقين والحفظ والاستظهار والإحاطة بالغريب الشاذّ وتكرار الشواهد القديمة التي لم تعد لها صلة باللغة الحيّة التي يستعملها المجتمع الجديد المتطلّع إلى حياة أفضل. واستعاضوا عن ذلك بمناهجٍ حديثة في تدريس العربيّة، تنطلق من الكتب الأمّهات (الكتاب، المقتضب، الأصول، الخصائص، دلائل الإعجاز، شرح المفصل، شرح الكافية إلخ...) وتسفيد من الاتجاهات الحديثة في دراسة اللغة لبناء قواعدٍ أساسيّة مبسّطة، تُستخلص من تحليل أمثلة واضحة مستمدّة من مصادر أدبيّة راقية، قديمة وحديثة (دواوين كبار الشعراء، الأغاني، الإمتاع والمؤانسة، المعذبون في الأرض، الغربال، روايات نجيب محفوظ إلخ...)، وتدعم ذلك كلّ بتطبيقات عديدة، الغاية منها ترسيخ القاعدة اللغويّة، ثمّ المساعدة على استعمالها كتابةً ومشافهةً، وبالتالي تكوين جيل من المدرّسين يحذقون العربيّة صناعةً وممارسةً لتدريسها بالمعاهد الثانويّة. كانت الرّغبة في تبسيط

القواعد وتذليل صعوبات التدريس السّمة الغالبة على تعليم العربيّة في المرحلة الأولى من الحياة الجامعيّة.

والحقّ أنّ هذه السّمة كانت القاسم المشترك بين عديد الجامعات العربيّة، لم تنفرد بها الجامعة التونسيّة فحسب، بل طبّعت روح التدريس في المؤسّسات الجامعيّة العربيّة الحديثة التي قامت على جهود أساتذة تأثروا بمناهج الأوروبيين في تعليم اللغات مثل تمام حسّان وكمال بشر وإبراهيم أنيس ورمضان عبد التّوّاب وعبد الصبور شاهين ومهدي المخزومي وغيرهم. فقد طغت نزعة التبسيط على أعمال الكثير منهم، منذ أواسط القرن الماضي، تذليلاً للصعوبات التي تراءت لهم في مسائل اللغة ومفاهيمها، ويتعلّق أغلبها بنظريّة العمل النحوي، والاستتار والتقدير، وفي هذه الأثناء قدّم مجمع اللغة العربيّة مشروعاً في هذا الشأن، انطلقاً من دعوة ابن مضاء القرطبي لإلغاء نظريّة العامل النحوي، شارك في إعداده الأستاذة شوقي ضيف، وطه حسين وإبراهيم مصطفى وأحمد أمين.

### المتخرّجون الجدد في نهاية السّتينات

ومنذ نهاية السّتينات وبداية السبعينات من القرن الماضي، تخرّج من الجامعة التونسيّة الجيل الأوّل من حاملي الليسانس (الإجازة، الأستاذية) في اختصاص اللغة العربيّة وآدابها، استوعبت المعاهد الثانويّة أغلبهم، وفضّل المتفوّقون منهم مواصلة الدراسة في المرحلة التالية لشهادة الليسانس بإعداد شهادات عليا: شهادة الكفاءة في البحث CAR، شهادة التعمّق في البحث DEA، وشهادة التبريز Agrégation، وشهادة الدكتوراه Doctorat.

وتوفّر لهؤلاء اللغويين الجدد، من ذوي اللّسان المزدوج، اطلاع واسع على المبادئ الأساسيّة في اللسانيّات العامّة ومعرفة جيّدة بالنظريّات اللسانيّة الحديثة، من بنويّة، وتوزيعيّة، ووظائفية، وتوليدية تحويليّة، تجلّت بالخصوص في مظهرين:

— ترجمة كتاب فردينان دي سوسير "Cours de linguistique générale" دروس في الألسنيّة العامّة بإشراف المرحوم صالح القرمادي، أحد كبار مؤسّسي الدراسات اللسانية في تونس، وهي ترجمة علميّة، يُفضّلها المختصّون على غيرها من ترجمات هذا الكتاب (تُرجم كتاب فرديناند دي سوسير إلى العربيّة مرّات عديدة، نذكر منها ترجمة يوثيل يوسف عزيز، وترجمة أحمد تميم الكراعين، وترجمة مبارك حنون).

— التوجّه الحديث في مقارنة المواضيع اللغوية التي اختاروا دراستها في نطاق شهادة دكتوراه الدولة، وهو توجّه نحو دراسة النّظام في مستويات الأصوات والاشتقاق والتصريف والإعراب والدلالة ويمكن أن نذكر على سبيل المثال الأطروحات التالية: "الشرط والإنشاء النحوي للكون" لمحمد صلاح الدين الشريف، "أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص" لمحمد الشاوش، و"وظاهرة الاسم في التفكير النحوي للمنصف عاشور، "والإشارات النحوية" للأزهر الزناد، و"الضمير: بنيته ودوره في الجملة" لصاحب هذا المقال.

وفي هذا المناخ المتجدّر في التراث والمتفتح على النظريات الحديثة في الدراسات اللغوية، بدأ التفكير في وضع برامج متكاملة لتدريس العربية في تونس، باعتبارها نظاما من القواعد والمبادئ الصوتية والاشتقاقية والتصريفية والإعرابية والدلالية، تعمل متظافرة لتحقيق وظيفة التواصل.

وأخذت هذه التجربة تتوسّع شيئاً فشيئاً، وتحسّن بمرور السنوات، إلى أن استقرّت على اختيارات ثابتة لبرامج مستقرّة في تدريس العربية، عمّت تقريبا مختلف الكليات التي تضطلع بتعليم اللغة، في تونس، وسوسة، وصفاقس، وقابس، من البلاد التونسية.

وسنعرض فيما يلي جملة من المبادئ النظرية والمنهجية التي وجّهت أساتذة اللغة العربية في تدريسهم. وهي تصوّرات نظرية ومنهجية للظاهرة اللغوية، مصدرها التفاعل بين التراث بما فيه من حداثة القدم وعلم اللغة الحديث الذي سنّ مبادئ وقوانين عامّة صالحة لدراسة اللغات عامّة بما فيها العربية.

## اللغة نظام

قامت برامج تدريس العربية على اعتبار اللغة نظاما من العلامات الرمزية، قائما بذاته، وظيفته التواصل. وترتبط هذه العلامات، فيما بينها، في نسيج من العلاقات المنظمة، لا يتفرّد فيها عنصر عن غيره من العناصر داخل هذا النظام. فاللغة ليست جريدا من الكلمات، يقابلها عدد مماثل من المعاني بل هي نظام محكم البناء، يتحتم على الدارس أن يكتشفه ويحدّد الوحدات التي يتكوّن منها في المستويات اللغوية المختلفة. ولئن تبلورت هذه الفكرة بوضوح في النظرية البنيوية عند دي سوسير فإنّ مصدرها موجود في مباحث عديدة من التراث النحوي في أبواب الصيغ الصرفية وأقسام الكلام وما يتألف منها من المركّبات وكذلك في العلاقات الإعرابية بين العوامل والمعمولات. يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي متحدثا عن اللغة باعتبارها بيتا محكم البناء، وهو بمثابة الرّجل الحكيم، يُعلّل أقسامها: "قمتلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دارا مُحكمة البناء، عجيبة النظم والأقسام، وقد صحّت عنده حكمةً بانيتها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللاحقة، الإيضاح في علل النحو للزجاجي"، ويقول ابن جنّي في

البناء اللغوي المتلاحم: " فهذا ونحوه يدلّك على قوّة تداخل هذه اللغة، وتلاحمها، واتّصال أجزائها، وتلاحقها، وتناسب أوضاعها، [...] وأنّ واضعها غنيّ بها وأحسن جوارها، وأمدّ بالإصابة والأصالة فيها، ابن جنّي، الخصائص ج1/33".

وهكذا فالنظام اللغوي، كما فهم في الجامعة التونسية، هو جملة المبادئ التي تؤلف العناصر وتجمعها وترتّبها وتنسّقها داخل الوحدات الصوتيّة والصرفيّة والتركيبيّة والدلاليّة. وستتجلى صور ذلك في الفقرات التالية، من هذا البحث.

### المنطوق والمكتوب في النظام اللغوي

لا شك أنّ المنطوق في اللغة أسبق من المكتوب، وأكثر منه انتشارا، وقد أفصح عن هذه الفكرة ابن جنّي، حين عرّف اللغة بأنها: " أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم"<sup>1</sup>، وأقرّ دي سوسير الفكرة نفسها، فاعتبر: " اللغة صورة شفوية مستقلّة عن الكتابة وأكثر منها ثباتا بكثير، دروس في الألسنيّة العامّة، صالح القرمادي، ص48—51"

وقد توجّهت برامج التدريس، بالجامعة التونسية لا إلى الوصف المجرد للأشكال اللغويّة ولا إلى الاكتفاء بالمكتوب دون المنطوق، بل إلى جعل القواعد أداة استعمال وإنتاج يُحقّق بها الدارس التعبير عن أفكاره ومقاصده والتواصل مع الآخرين من خلال أنشطة متنوّعة ومواقف مختلفة يجرّد فيها لسانه أولا وقلمه ثانيا أداتين للتعبير.

فالجانب الشفوي يتضمّن جميع ما يستعمله الفرد من مهارات اللغة، وقواعدها، ومفرداتها، وتراكيبها؛ ولذلك أُعتبر هدفا رئيسيا في دراسة اللغة وتعلّمها، ومجالا واسعا لتطبيق جميع المهارات التي يحتاجها الفرد عندما يتواصل مع غيره، فهو يُعلّم التفكير المنطقي، وترتيب الأفكار والسيطرة على المواقف الحيويّة التي تتطلّب طلاقة اللسان والقدرة على الارتجال، ويعبر عن النضج العقلي والوجداني الذي يُمكن الدارس من التفاعل الإيجابي مع أفراد المجموعة التي ينتمي إليها.

وهذا التجانس بين المنطوق والمكتوب قد ذكره مبارك حنون، في آخر بحوثه، فرأى ارتباطا قويا، متينا بين التمثيل الصوتي والتمثيل الخطّي: " إنّ العلامة Signal اللغويّة هي الناقل الأوّل للغة، وهي غنيّة من حيث الإخبار لا فقط بما يتّصل بالبنية الصوتيّة المجرّدة لقول ما، وإنّما هي غنيّة أيضا فيما يتّصل ببنيتها التركيبيّة والدلاليّة، مبارك حنون: في الصوارة البصريّة، ص45"

### شمولية النحو

أُعطي للنحو في تدريس العربيّة في الفضاء الجامعي التونسي مفهومٌ واسع، شمل مجمل ما يتّصل بالنظام اللغوي من أصوات واشتقاق وتصريف وإعراب ودلالة، وهو مفهوم واضح في أمّهات كتب النحو. فقد جاء في تعريف ابن جنّي له، أنّ النحو هو "انتحاء سمت كلام العرب من إعراب وغيره، الخصائص ج1/35"، وفحوى هذا القول أنّ علم النحو لا ينحصر في علم التركيب كما يعتقد كثير من الدارسين المحدثين بل إنّ علم التركيب جزء منه، ولا يعدو أن يكون مستوى من مستوياته، لا غير، فالنحو علم شامل لمختلف الأنشطة اللغويّة.

وما دام التركيب يخصّ المفردة ومكوناتها الصوتية والصرفيّة، والجملة ومكوناتها من مفردات وعلاقات إعرابيّة، فقد استعمل التعليم الجامعي في اختصاص العربيّة مصطلح الإعراب بدل مصطلح التراكيب، ذلك أنّ الإعراب مفهوم راسخ في التراث النحوي، أي أنّه ظاهرة تركيبية دلالية، تتمثّل في تأثير العامل النحوي في المعمول، فينشأ عن ذلك أثران: أحدهما لفظي هو علامة الإعراب، وثانيهما معنوي هو معاني الإعراب من فاعليّة ومفعوليّة وإضافة.

ولا بدّ من التأكيد في هذا المجال على أهميّة المكوّن الصرفي في النظام اللغوي، فهو يوفّر عن طريق الاشتقاق قواعد توليد المفردات من ناحية، ويهيئ عن طريق التصريف المفردات المولدة للدخول في فضاء الإعراب وتركيب الجمل. وقد حرصت برامج التدريس على جعل المتكلم يستكشف بنفسه ما بيّن المكوّن التركيبي والمكوّن الصرفي في النظام من علاقات، وما بيّن صيغ الصرف ومعاني النحو من أهميّة في دراسة الوظائف.

### الجملة في التراث النحوي العربي

أصبح من المسلّم به اليوم في جميع الدراسات اللسانيّة أنّ المدخل الرئيس لدراسة اللغة هو الجملة وأنّه لم يعد لنحو المفردات المنزلة التي كانت له من قبل.

وقد انطلقت برامج تدريس العربيّة بالجامعة التونسيّة من الجملة في التراث النحوي العربي؛ ذلك أنّ العرب حلّوها إلى مختلف مكوّناتها، وصنّفوها صنفين وأكثر، وضبطوا وظائفها، وتركوا لنا جهازا اصطلاحيا مفيدا ومادة غزيرة، بيد أنّ دراستهم لها لم تخل من بعض العيوب، منها:

— عدم الوضوح بيّن مصطلحي اللغة والكلام: فقد استعمل سيبويه مصطلح الكلام، وهو لا يختلف عن مدلول الجملة كما استخدمها المبرّد (ت 285هـ)، وتلميذه ابن السراج (ت 316هـ)، وبعدهما رادف بيّن المصطلحين ابن جنّي (ت 316هـ)، والجرجاني (ت 470هـ)، والزّمخشري (ت 538هـ)، والعكبري (ت 616هـ)، وابن يعيش (ت 643هـ) وميّز الرضي (ت 668هـ)، وابن هشام (ت 761هـ) بيّن المصطلحين واعتبرا أنّ الكلام أخصّ من الجملة والجملة أعمّ من الكلام.

من خلال هذه الآراء، يتّضح أنّ الجملة في نظر أكثر النحاة العرب مصطلح لفظي، شكلي، متّصل بالجانب التركيبي أي بتوقّر المسند والمسند إليه، وهي في نظر بعضهم الآخر مصطلح معنوي دلالي، متعلّق بجانب المضمون، ولهذا عبّروا عنه بمصطلح الكلام. ويمكن أن نوّكد أنّ اهتمامهم بالمعني، في تحديد الجملة، لم يكن على قدر اهتمامهم بالتركيب.

والترّم أساتذة الجامعة التونسيّة، بفضل الاستفادة من الدراسات الحديثة، أنّ الجملة تركيب إسنادي مستقلّ، ليس جزءاً من تركيب أكبر منه، وهو ما سنشرحه في فقرة قادمة.

— الإفراط في العناية بعلامات الإعراب رغم أنّها مجرد مؤشّرات على الوظيفة إلى جانب مؤشّرات وقرائن أخرى إضافيّة، يمكن أن تعين على تحديد الوظيفة.

— تحليل الجملة تحليلاً خطّياً وتقطيعها حسب تعاقبها في النطق، في اتجاه واحد، فرضته طبيعة التقطيع في جهاز التصويت، وهو إجراء لم يمكن من تمثّل مفهوم البنية، ولم يُيسّر إدراك العلاقات بين مكّونات الجملة. إنّ تحليل الجملة تحليلاً خطّياً، بتقسّي مفرداتها، الواحدة تلو الأخرى، وحسب ترتيبها في السياق هو في الواقع إجراء لا يراعي الخصائص التركيبيّة لكثير من الوحدات اللغويّة، ومن ناحية أخرى لا يُعدّ تمثيلاً دقيقاً لمكّونات الجملة.

— الجمع في مستوى واحد بين وظائف راجعة إلى المبني، وأخرى راجعة إلى المعنى.

### الجملة في اللسانيات الحديثة

ولتجاوز هذه العيوب أضاف الأساتذة الجامعيون إلى الرصيد القديم المُعتَمَد مفاهيم وطرقاً جديدة استلّهمت من الدراسات اللسانية الحديثة، وأهمها:

— مفهوم المكّونات المباشرة *Constituants Immédiats*، وهو يُساعد على مراعاة مفاصل الجملة، وتعليق كلّ عنصر منها بالتركيب الذي ينتمي إليه.

— مفهوم مستويات التحليل *Niveaux d'analyse*، ويكون بعزل المكّونات المباشرة في المستوى الأوّل، ثمّ تحليل كلّ منها إلى مكّونات المباشرة في المستوى الثاني. وهكذا دواليك إلى أن نصل في النهاية إلى مكّونات لا تقبل مزيداً من التحليل.

— ضبط مفهوم عملي للجملة، على النحو التالي: الجملة تركيب إسنادي، مستقلّ بنفسه، أي أنّه ليس جزءاً من تركيب أكبر منه. أمّا التركيب الإسنادي غير المستقلّ فيقابل في التراث النحوي ما يُسمّى بالجملة الفرعيّة. وبذلك تنفرد الجملة عن التركيب الإسنادي بالاستقلال.

— تحليل الجملة، على أنّها بناء رأسي متدرّج، ونسق منتظم من المستويات، وليست خطأ متكوّنا من مفردات متتابعة، حسب ما عليه نحو المفردات، وعليه فإنها تحلّل تحليلًا حديثًا، إلى مكوّناتها المباشرة، بإحدى طرق التمثيل، وهي ثلاثة: اثنتان منها اعْتُمِدَتْ بشكل كُليّ، وهما الصَّنْدُقة حسب صندوق هوكيت Boite de Hockett، وحسب مشجّر تشومسكي L'arbre syntaxique de Chomsky، ولم تُعتمد الطّريقة الثالثة، وهي طريقة التقويس parenthèse، إلاّ عرضًا، نظرًا إلى تعقّدها، وهو ما يفسّر الإعراض عنها في تمثيل الجملة الأجنبيّة.

— اعتماد مفهوم المركّب، وهو ما تكوّن من مفردتين فأكثر، ويشغل محلاً نحوياً واحداً، يمكن تقطيعه وتحليله إلى محلاتٍ صغرى لا تُقصد لذاتها. وتمائلُ الحاجةُ إلى استعمال المركّب الحاجةُ إلى استعمال المفرد؛ ذلك أنّ المتكلم لا يستطيع أن يقتصر في الخطاب على استعمال المفردات فحسب، فيضطرّ، من جهتين، إلى استعمال المركّب.

— يضطرُّ أولاً إلى المركّبات، لما تفرضه عليه اللغة من وحدات تحتاج بطبيعتها إلى عناصر تتركّب معها، كالأسماء الموصولة، والظروف الملازمة للإضافة، والموصولات الحرفية، وأسماء الشرط، وحروف الشرط وغيرها.

— ويضطرُّ ثانياً إلى المركّبات ليحقّق أغراضه في التأكيد، والنفي، والتعليل، والتمييز، وهي أساليب تُنجز في الغالب بالمركّبات.

— اعتماد مفهوم المفردة، وهي العنصر الأدنى، المستقل شكلاً ومعنى، والجاري في محلّ إعرابي نهائي ومستقلّ، لا يمكن أن يؤدّي التحليل إلى تجزئته إلى محلات أصغر. فهي، بهذا الاعتبار، أصغرُ عنصر يصل إليه التحليل النحوي، ويمكن إرجاعه إلى أحد أقسام الكلام. على أنّ المفردة، وإن كانت كيانا كلياً، من زاوية المعيار المحليّ الإعرابي، فإنّها تختزل عدداً هاماً من معاني الصّيغة، والمقولة، إذ تتألّف من وحدة معجميّة مع ما يتّصل بها من علامات على المطابقة والزمن والعدد والجنس والتعريف والتنكير والإعراب والبناء. ويمكن الاستعانة بهذه العلامات لضبط حدود الكلمة.

## جملة النظام وجملة النصّ

ميّزت برامج تدريس العربيّة بالجامعة التونسية بين جملة النظام وجملة النص. جملة النظام هي شكل نظري مجرد، تابع لنحو اللغة، متنصّل من جميع مظاهر السياق، وينتمي إلى ما يُسمّى بالألسنية الصغرى Micro – linguistique، يهتم بدراسة وظائف الجملة، المستمّدة من المعطيات الإعرابيّة، ومثاله " أهلاً وسهلاً "، تُقال في الترحيب بالضيف، عند وصوله، وتحليلها نظامياً هو التالي: " فعل وفاعل ومفعول مطلق "، وبناء عليه تكون " أهلاً وسهلاً " عبارة عن جملتين فعليّتين مختزلتين في وظيفة المفعول المطلق. أمّا جملة النصّ فهي محور الدراسة النحويّة، في مستوى أرقى، وتتعلّق بالجملة

في سياق النصّ، وتكون متّصلة بجمل أخرى، بواسطة روابط اللفظ وروابط المعنى، وتحتوي على عناصر الإشارة وعناصر الإحالة، وترتبط بالمقال وبالمقام، ومثالها: " الثوبُ شَفَّافٌ"، فأنت لا تستطيع فهم هذه الجملة، دون ربطها بجمل سابقة وأخرى لاحقة، على هذا النحو: خرجتُ زينبُ إلى الشارع، والثوب شَفَّافٌ، قد أثار انتباه المارة "، فالأمر يتعلّق بشخص بعينه، هو زينب، لا غيرها، وقد تحدّث الوسط الاجتماعي بعادته وتقاليده في اللباس ، وتُفهم هذه المعاني من خلال اسم العلم، وروابط المقال (ت، و، الـ) والمقام (الشارع، المارة).

### التكامل بين النظري والتطبيقي

حرصت البرامج الجامعية التونسية في تدريس العربية على أن تكون الدروس ذات منحيين: منحي علمي نظري، يُعنى فيه بالقوانين والقواعد التي تتحكّم في النظام اللغوي، ويُدعم بنصوص نظرية، تُؤخذ من كتب النحو القديمة وكتب اللسانيات الحديثة، وهي تُلبّي حاجة الطالب إلى الطّلب والاستزادة، ومنحي بيداغوجي، عملي، يتوجّه إلى التطبيق والتدريب على تمارين متنوّعة تعين على تمثّل القواعد واستيعابها، وهي مركّزة خاصة على نصوص من الأدب العربي القديم والحديث.

### الأهداف العامة من تدريس العربية

انعقدت برامج تدريس اللغة العربية لطلبة الاختصاص بالجامعة التونسية على أهداف عامّة، تتلخّص في تنمية ملكة الطالب اللغوية من ناحية، وإكسابه قدرة على صناعة التدريس من ناحية أخرى. والملكة والصناعة وجهان من آلية حذق اللغة متكاملان، يرفد أحدهما الآخر إلى حدّ بعيد. وتتضمّن هذه الآلية شبكة من العلاقات بيّن أركان ضرورية في تعلّمية اللغة، منها:

— إرساء نسبة طردية بيّن درجة التعمّق في تصوّر نظام اللغة وتجويد الاقتدار على إنتاج الكلام في الأغراض المختلفة.

— جعل الطالب يدرك العلاقة بين أبنية اللغة والأعمال اللغوية التي تتحقّق بها.

— جعل الطالب يستغلّ معرفته بنظام اللغة في نشاط إنتاج المعنى وذوق الأساليب عند الاشتغال بالنصوص في حصص الأدب العربي وغيرها.

### برامج تدريس علمي الصرف والنحو

وتتحقّق هذه الأهداف ببرامج مناسبة في مادتي الصرف والنحو. فدراسة الصرف تقتضي التمهيد لها بمقدمة صوتية، وظيفية، تتضمّن مبادئ علم الأصوات، والمعطيات الأساسية التي يوفّر لها فهم التغيّرات

الطارئة على الأبنية الصرفية. وقد كانت دراسة الأصوات وسيلةً من وسائل فهم بنية الكلمة وما يلحقها من العوارض كالقلب، والإبدال، والتضعيف، والإدغام: " وإنما وصفتُ لك حروفَ المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز، وما تبدله استنفالاً كما تدغم، وما تخفيه، فهو بزنة المتحرّك" سيبويه، الكتاب، ج4/436. وهذا مجال يتقاطع فيه علم الأصوات وعلم الصرف، فيما أُصطلح عليه في اللسانيات الحديثة بالمرفو — فونولوجي، وهو مجال يُعنى بدراسة التركيب الصوتي للوحدات الصوتية والمظاهر الخاصة بالتصاحب النطقي، والتغيرات الصوتية الناتجة عن تأثير الأصوات في بعضها البعض.

ومن المقدّمة الصوتية والمسائل المختلفة لعلم الصرف، سعى أساتذة الجامعة إلى تحقيق المقاصد التالية:

— معرفة العناصر الصوتية الأساسية: الحروف، الحركات، المقاطع، معايير تصنيفها ودورها في اتّساق الكلم وتكوينه وتصنيفه إلى أنواع (اسم، فعل، حرف).

— معرفة ما يصيب الكلم من تغييرات، عند إنجاز الصيغة النظرية، وتصنيفها على قدر يمكن من فهم العلاقة بين قواعد اللغة وقواعد إنجازها، ويمكن من استعمال الأبنية والتصرّف فيها.

— إقدار الطالب على كتابة الصيغ المختلفة كتابة صوتية، والتدرّج من الصيغ النظرية إلى الصيغ المنجزة، وتحديد ظواهر التعامل الطارئة، مع التذكير بالقواعد المعتمدة في التفسير.

— إقدار الطالب على تحليل الكلم في العربية.

— تمثّل آليات الاشتقاق في العربية، والطرق الأساسية المعتمدة فيها.

— إدراك القوانين المنظمة للأبنية والصيغ.

— فهم معاني الأبنية والصيغ.

— إقدار الطالب على تصريف الأفعال والأسماء بحسب مواضعها في الجملة.

— التمييز بين الاشتقاق والتصريف من جهة، وإدراك الترابط والتكامل بينهما، من جهة ثانية.

— إدراك الصلة القويّة بين الأبنية الصرفية والأبنية الإعرابية.

أما علم الإعراب فيتلخّص تدريسه في تحقيق المقاصد التالية:

— معرفة الأبنية الإعرابية الأساسية المستعملة في النصوص الفصيحة القديم منها والحديث، ومعرفة القوانين المسيّرة لها، وفهم ظواهر التركيب.

\_\_\_\_\_ تمييز الوظائف التي تقوم بها العناصر المختلفة داخل هذه الأبنية والتراكيب، ومعرفة القوانين المسيرة لعلاماتها الإعرابية.

\_\_\_\_\_ فهم العلاقات بين الوظائف والتراكيب.

\_\_\_\_\_ إنجاز الأعمال اللغوية باختيار الصيغ المناسبة لها، ولما يريد المتكلم التعبير عنه من الآراء والمواقف والأحداث.

## الخاتمة

في خاتمة هذا العمل، نقدّم الملاحظات التالية:

\_\_\_\_\_ لا بدّ من إقامة علاقات تعاون وثيقة بين الجامعات المهمّة بتدريس العربية لتبادل الخبرات في مجال إعداد البرامج الكفيلة بتطوير درس اللغوي.

\_\_\_\_\_ الاهتمام بمناهج تعلّم اللغة العربية في ضوء التفاعل المثمر بين التراث العربي ومقاربات علم اللغة الحديث. فالمقارنة وحدها تمكّنا من الوقوف على إيجابيات وسلبيات اللغات مهما كان مأتاها.

\_\_\_\_\_ الحرص على إعداد جيل من المختصّين في تدريس العربية، يتوفّر لديهم الاطلاع الجيد على التراث والإلمام بأهمّ الاتجاهات الحديثة في دراسة اللغة.

\_\_\_\_\_ الاهتمام باللغة بوصفها نظاما من العلامات الصوتية والصرفية والإعرابية، تُدرك وظائفها من خلال علاقات الانتلاف والاختلاف بين مكوناتها.

\_\_\_\_\_ تجنّب أساليب التلقين في تدريس اللغة وحث الطالب على السعي الذاتي لاكتساب المعرفة وصقل مواهبه.

## المراجع

ابن جنّي: الخصائص، تحقيق محمّد علي النجّار، نشر دار الكتب المصرية، 1371 هـ — 1952م.

\_\_\_\_\_ ابن السراج: الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، دار الرسالة، بيروت، ط3/ 1417 هـ — 1996.

\_\_\_\_\_ ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، جزآن، تحقيق محمّد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان 1411 هـ - 1991م.

- الجرجاني: شرح الجمل في النحو، تحقيق علي حيدر، دمشق 1392 هـ - 1972م.
- حنون مبارك: في الصوارة البصرية، من لسانيات المنطوق إلى لسانيات المكتوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1/2013، بيروت، لبنان.
- الدستور التونسي الصادر في 1 جوان سنة 1959 نصّ على أنّ تونس دولة مستقلة، ذات سيادة، الإسلام دينها، والعربيّة لغتها، والجمهوريّة نظامها.
- دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرمادي، محمد الشاوش ومحمّد عجينة، الدار العربية للكتاب، 1985.
- الرضي: شرح الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر، نشر جامعة قار يونس، ليبيا 1395 هـ — 1975م
- الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، ط3/1399 هـ — 1979.
- سيبويه: الكتاب، 5 أجزاء، تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1(د.ت)
- السيوطي: الاقتراح في أصول النحو، تحقيق عبد الحكيم عطية، دار البيروتية، ط2/1427 هـ - 2006.
- الفراهيدي أحمد خليل: معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، مؤسّسة دار الهجرة، ج2/1409 هـ.
- القرمادي صالح ومحمد عجينة ومحمد الشاوش: دروس في الألسنية العمّة، الدار العربية للكتاب، 1985.
- القرمادي صالح: أمهات نظريات دي سوسير، ضمن: دروس في الألسنية العامة، ص 349 — 368.
- العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1/1430 هـ - 2009.
- المهيري عبد القادر وهيد الوهاب بكير والتهامي نقرة وعبد الله بن عليّة: النحو العربي من خلال النصوص، الشركة القوميّة للتوزيع، 1962.
- المهيري عبد القادر ومجموعة من المؤلّفين: كتاب الصرف العربي من خلال النصوص، عبد القادر المهيري وجماعته، الشركة القوميّة للتوزيع، 1966.

## Bibliographie

De Saussure Ferdinand, 1916, Cours de linguistique générale, -  
.Payot, Lausanne